المحاضرة السابعة: الأدب الألماني

الأدب الألماني المبكر:

ألّفت القبائل الألمانية التي نزحت إلى أوروبا الغربية قصائدها الوطنية وقصصها عن أوثانها وأبطالها ونقلتها شفهيًا من جيل إلى آخر. وبعد وقف الهجرة تولّت الأديرة والكهان عملية التأليف والتعليم. غير أنه لم يبق من هذه الأعمال سوى القليل مثل العمل الشعري والملحمي هيليند أي (المُخلِّص) التي لم يُعرف مؤلفها.

العصر الذهبي الأول 1150-1250:

كان الشعر الملحمي أكبر إسهام للأدب الألماني العالي الوسيط في هذه الفترة. فقد كتب الفرسان ملاحم في الحب والفروسية.

وتجول شعراء المينيسينجر الذين كانوا يشبهون شعراء التروبادور الفرنسيين يغنون قصائد في الموضوعات نفسها. ثم قام مؤلفون مجهولون بتسجيل حكايات ألمانية قديمة مثل أغنية عائلة النيبلونج وجودرين اللتين تمجدان الشجاعة والولاء الألمانيين. وقد تأثرت ملاحم البلاط بالأدب الفرنسي- لأنها قلّدت حكايات الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة الإنجليزية التي انتقلت إلى ألمانيا عن طريق فرنسا .ثم إن أدب هذه الفترة لابد أنه تأثر بالأدب العربي والإسلامي عن طريق الحملات الصليبية .وأشهر ملاحم هذه الفترة اثنتان :هنري الفقير وبارسيغال.

الفترة الانتقالية 1250-1750:

تخلّى فرسان العصر الذهبي الأول عن مركزهم القيادي الثقافي لأبناء الطبقة المتوسطة واستُبدلت الواقعية بالمثالية الرومانسية .وقد صورت ملحمة مائير هلمبرشت انحطاط عهد الفروسية، كما استُخدمت الخطابة على لسان الحيوان لتعليم دروس عملية. وقد نالت ملحمة الثعلب رينارد الساخرة، ونوادر أيولينشبيبجل شهرة كبيرة.

كان القرن السادس عشر عصر النهضة الروحي للأدب الألماني في مجالي العلوم الإنسانية والإصلاح الديني .وأشهر عمل أدبي لهذه المرحلة هو فلاح بوهيميا لجوهانز فون ساز، كما حاول كُتّاب الحركة الإنسانية البحث في فلسفة تاريخ الرومان والإغريق القديم لإيجاد مثالية

إنسانية جديدة. وفي مجال الإصلاح الديني يكفي أن نذكر مارتن لوثر الذي ترجم الإنجيل إلى الألمانية وكتب رسائل في ضرورة الإصلاح الديني.

العصر الذهبي الثاني 1750-1830 :

هو عصر غوته في الأدب وبيتهوفن في الموسيقى وكانط في الفلسفة، وهو أهم عصور الأدب الألماني كلها.

حركة التنوير:

أثّرت حركة الإصلاح التي اجتاحت أوروبا على الأدب الألماني في القرن الثامن عشر، وقد مثلها جوتهولد أفرايم ليسينج، الذي كان أول ناقد ألماني بمعنى الكلمة. دعا ليسينج إلى المزج بين قيود التراث اليوناني وحماس شكسبير، ومن أهم مسرحياته ناتان الحكيم التي دعا فيها إلى التسامح.

حركة العاصفة والتأكيد:

جاءت كرد فعل ضد الشكلية الفرنسية .وقد دعا كتاب هذه الحركة إلى العودة إلى الطبيعة بدلاً من الحضارة؛ والأصالة بدلاً من التقليد؛ والدِّين بدلاً من السخرية؛ والعاطفة بدلاً من العادات الرسمية. وقد بدأ كل من غوته وشيلر مهنته ككاتب في حركة العاصفة والتأكيد. وقد شهدت هذه الفترة مولد الجزء الأول من مسرحية فاوست التي بدأ غوته كتابتها عام 1770 م؛ ومسرحية اللصوص لشيلر.

الحركة الرومانسية:

ولدت الحركة الرومانسية الألمانية من حركة العاصفة والتأكيد وكان كتاب غوته آلام فرتر أول إنتاج الحركة الرومانسية؛ والكتاب يعكس ما شعر به الكاتب من التشاؤم بعد غزو نابليون لألمانيا. وتشمل قائمة كتاب هذه الحركة أشهر الأسماء في الأدب الألماني مثل الأخوين ويلهلم وفريدريتش شليجل.

الأدب الألماني 1830-1890

كان الشباب الألماني مجموعة من الكتاب المتطرفين الذين بدأوا نشاطهم في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي. وقد كتبوا مسرحيات سياسية غاضبة وقصصًا موجهة ضد سياسة

الحكومة، ومن أبرز هؤلاء الكتاب الشاعر هايني هاينريتش الذي يعد واحدًا من أعظم شعراء ألمانيا الغنائيين. ولكنه كان للواقعية أهمية كبيرة في حركة الشباب الألماني. وقد ثار الواقعيون ضد المبالغة في العواطف والرومانسية وعادوا إلى وصف الحياة بصورة موضوعية. وكان فريدريتش هابل أبرز المسرحيين الواقعيين.

الأدب الألماني 1890-1945:

تخلت الواقعية عن دورها للطبيعة بعد عام 1890 م. وقد ركزت الطبيعية على الظلم الاجتماعي والجريمة وحالة الفقر ودور الوراثة في التطور الإنساني. فقد كان ماركس وداروين ونيتشه وإبسن من القوى الفكرية التي أثرت على الحركة الطبيعية. وكانت مسرحية النسَّاجون بقلم جرهارت هاوبتمان أفضل ممثل للحركة الطبيعية .وبدلاً من التركيز على جروح الحياة الدامية، رأت حركة أخرى هي الحركة الانطباعية العودة إلى التأكيد على الأدب الجمالي والمثالي. وقد قدم توماس مان -كاتب ألمانيا الانطباعي الشهير- شخصيات حساسة في رواية الجبل السحري وروايات مهمة أخرى. ومن كتاب هذه الحركة المهمين أيضًا هيرمان هيسه (1927 م) وأرثور الذي عُرِف بتحليله للعواطف الإنسانية في القصص القصيرة والمسرحيات التي تناول فيها الملكية القديمة. وقد نشأت التعبيرية أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918 م)، وإنتاجها في مجمله له سمة الأحلام المزعجة؛ غير أنها تشترك مع الحركة الطبيعية في هدف التركيز على التقدم الاجتماعي. وقد احتجت الروايات والمسرحيات التعبيرية على الظلم السياسي والاجتماعي. ويعتبر فرانز كافكا وهو كاتب تشيكي كتب بالألمانية من أعظم كتاب الحركة التعبيرية. وقد كتب كافكا عن سعي الإنسانية إلى الله والعدالة في قصصه القصيرة وروايته مثل رواية القلعة. والاسم التعبيري الآخر اللامع هو بيرتولت برخت المعروف بمسرحياته الهجائية، ومن بينها أوبرا البنسات الثلاث.

غوته:

وُلد يوهان فولفغانغ فون غوته في 28 أغسطس 1749 في فرانكفورت في ألمانيا، وتوفي في 22 مارس 1832 في ساكس فايمار. هو شاعر وكاتب مسرحي وروائي وعالم ورجل دولة ومخرج مسرحي وناقد وفنان هاو ألماني، يُعد أعظم شخصية أدبية ألمانية في العصر الحديث.

كان غوته برجوازيًّا بكل معنى الكلمة، وهذا أمر نادر بين رموز النهضة الأدبية الألمانية في القرن الثامن عشر. على عكس معظم معاصريه، لم يكن بحاجة -على الأقل في النصف الأول من حياته- إلى السعي لأن يرعى أحد الأمراء كتاباته، أو لتعيينه في وظيفة مسؤول أو أكاديمي.

تلقى غوته تعليمه مع أخته في المنزل حتى سن السادسة عشرة على يد مدرس خاص. كان لدى والده أفكار محددة جدًّا عن تعليمه وكان ينوي أن يتبع غوته النهج الذي سلكه هو عندما كان شابًّا: دراسة القانون، والحصول على خبرة في غرفة العدل الإمبراطورية -المحكمة العليا للإمبراطورية الرومانية المقدسة- في فتسلار.

سنة 1765 ترك غوته البيت لدراسة القانون في لايبزيغ. كانت الجامعة هناك مركزًا لإحياء الأدب الألماني على مدار 40 سنة.

وقع في حب ابنة صاحب الفندق، كاتشين شونكوبف، لكنها فضلت شخصًا أكثر صلابةً، محامٍ يصبح في النهاية ممثل عمدة لايبزيغ.

انتقم غوته بكتابة أول مسرحية ناضجة له بعنوان «المتواطئون» عام 1787، كوميديا شعرية تظهر ندم امرأة بعد عام من الزواج بالرجل الخطأ. أصبحت حالته العاطفية متوترةً، وتراجعت صحته، من المرجح أنه أصيب بنوبات سل، وعاد في سبتمبر 1768 إلى منزله في فرانكفورت دون شهادة.

تدهورت صحته أكثر، وتحول سريعًا من التفكير الحر إلى التفكير المسيحي الإنجيلي. درس في نفس الوقت الكيمياء بجدية، وهو ما ساهم في تكوين فكرة كتابة مسرحية عن فاوست، وهو شخصية نصف أسطورية يبيع روحه إلى الشيطان من أجل المعرفة والقوة، ما أصبح أعظم أعمال غوته.

فاوست)Faust (هي مسرحية تراجيدية، من تأليف الكاتب المسرحي الألماني يوهان فولفغانغ فون غوته .تقع في فصلين: الجزء الأول من التراجيديا) نُشر للمرة الأولى في عام 1808، والجزء الثاني من التراجيديا) نُشر للمرة الأولى في 1832 وهو العام الذي توفي فيه غوته .على الرغم من أن المسرحية حققت نجاحاً باهراً إلا أنها نادراً ما كانت تؤدى على المسرح، لكنها حصدت أكبر جمهور في المسارح الألمانية. ويعتبر «فاوست» عمل غوته الأكثر شهرة ويضعه الكثيرون ضمن أعظم الأعمال الأدبية في تاريخ الأدب الألماني .

القصة:

فاوست هي خرافة قديمة يردها بعض المؤرخين إلى ما قبل غزو النورمان لإنجلترا، وتناولها العديد من الأدباء في مؤلفاتهم منهم غوته ومن قبله الشاعر الإنجليزي كريستوفر مارلو والشاعر الفرنسي- روتبيف والكاتب الألماني غوتهلد إفرايم لسنج .الخرافة تحكي عن شخص (فاوست) ورث عن عمه أموالاً، وتعلم كل ما أمكنه من علوم زمانه، ولكنه بعد أن ادركه الكبر اعتقد أن كل ما أخذه من علم لا نفع له، فندم على سنوات شبابه الذي أضاعها ولم يقضيها في متعته، فظهر له الشيطان) مفستوفيليس (يقايض روحه وجسده على أن يمده بأربع وعشرين سنة وهو في شبابه، اقتنع فاوست بما عرض عليه الشيطان فمضى- في سبيل الشر- فقتل وفسق ووقع في كل رذيلة أمكنه فعلها. وفي هذه المسرحية عشق فاوست مارجريت (وتُعرف أيضاً باسم جريتشن)، وعندما عرض عليه الشيطان النساء رده رداً عنيفاً قائلاً بأنه لا يريد سوى مارجريت المرأة التي أحبها. في الخاتمة تبع غوته منهج ليسنج فعندما أتى الشيطان ليأخذ حقه من الاتفاق في النهاية أتاه صوتاً من السماء قائلاً «لن تفلح فيما تريد» ويُكتب الخلاص لفاوست ومارجريت.

أراء النقاد:

يعد نص فاوست من النصوص المسيطرة؛ إنه النص الذى يستهوى الكتّاب ومن ثمّ يستهوى القراء، وأظن أن هذا النص قد أخذ ألباب الكتّاب وجعلهم يسيرون تحت هيمنته، قليلة هذه النصوص التى تسيطر على الأدباء.

ولكن عندما ننظر إلى هذا النص نجد أن حدوده لم تتوقف عند الأدباء الألمان أو الأوربيين بل تعدت حدود أوربا بحيث وجدنا سعة انتشار هذا النص، ومعنى ذلك أن فى هذا النص من الأفكار ما يجعله قادراً على تخطى الحدود والحواجز اللغوية والجغرافية.

وتقول أيضا:

إن سر نص فاوست هو تجدده وَفق رؤى كاتبه، إنه أشبه بوعاء قابل أن يُملأ بأي مشروب، ما منحه تجاوز نص فاوست جوته بحيث وَجَدَت فيه كل أمة ضالتها، ووجد فيه كل أديب ما يسع

رؤيته وفلسفته تجاه الكون والحياة، هذه القابلية جعلته نصاً لا يأبه بالحدود بل يتجاوزها ولا يعيش فى بيئة إلا ليعبر عنها تاركاً إياها باحثاً عن بيئة أخرى وأديب جديد يُلبسه جلباباً جديداً[1].

أراء حول الكاتب غوته:

غوته هو الشخصية الأدبية الألمانية الوحيدة الذي تساوى امتداده ومكانته العالمية مع الفلاسفة الألمان البارزين الذين اعتمدوا غالبًا على أفكاره وأعماله، والمؤلفين الموسيقيين الذين وضعوا موسيقا لأعماله. في الثقافة الأدبية للدول الناطقة بالألمانية كان لغوته مركزًا مهيمنًا، فقد أصبحت كتاباته منذ نهاية القرن الثامن عشر توصف بالكلاسيكيات.

كان غوته بالمنظور الأوربي الممثل الأساسي الأكثر تميزًا والمفهوم على نطاق واسع للحركة الرومانسية. يمكن القول إن علاقته بالثقافة التي بدأت في عصر التنوير ومستمرة حتى يومنا هذا هي كعلاقة وليم شكسبير بثقافة عصر النهضة، أو كعلاقة دانتي بثقافة العصور الوسطى العليا. إضافةً إلى أن كتابه «فاوست» مبهر بشدة عندما حُرِّر تحريرًا مناسب، فهو أيضا أعظم قصيدة طويلة في أوروبا منذ «الفردوس المفقود» لجون ميلتون، بل منذ الكوميديا الإلهية لدانتي[2].

[1])- بين جوته وباكثير أثر «فاوست» في الأدب العالمي | بوابة أخبار اليوم الإلكترونية(akhbarelyom.com) ، تاريخ الانزال: 2022/08/22
[2])- ينظر: ويكيبيديا.(حياة غوته)